قصة للشابّات

من إصدارات حملة ركاز الإعلامية الخامسة عشرة

تلك الصغيرة

بقلم: حياة الياقوت

ركاز®

لتعزيز الأخلاق

تلك الصغيرة

علمٌ أحمر يدقّ نفسه في عينيّ اللتين لم تغمضا أكثر من أربع ساعات. أستيقظ على صوت منبّه الهاتف يُذكّرني:

صباح الغد آخر يوم لتسليم قصة حملة ركاز!

منذ شهر كامل وأنا أحاول -دون جدوى- أن أكتب شيئا؛ الاحتباس الكتابي يَعَضُّ عليّ بنواجذه. عدت فجر اليوم من سفر طويل، ولم ينفعني تغيير الأجواء في استلهام فكرة للقصة. أطمئن نفسي، وآخذ ورقة لاصقة لأكتب عليها:

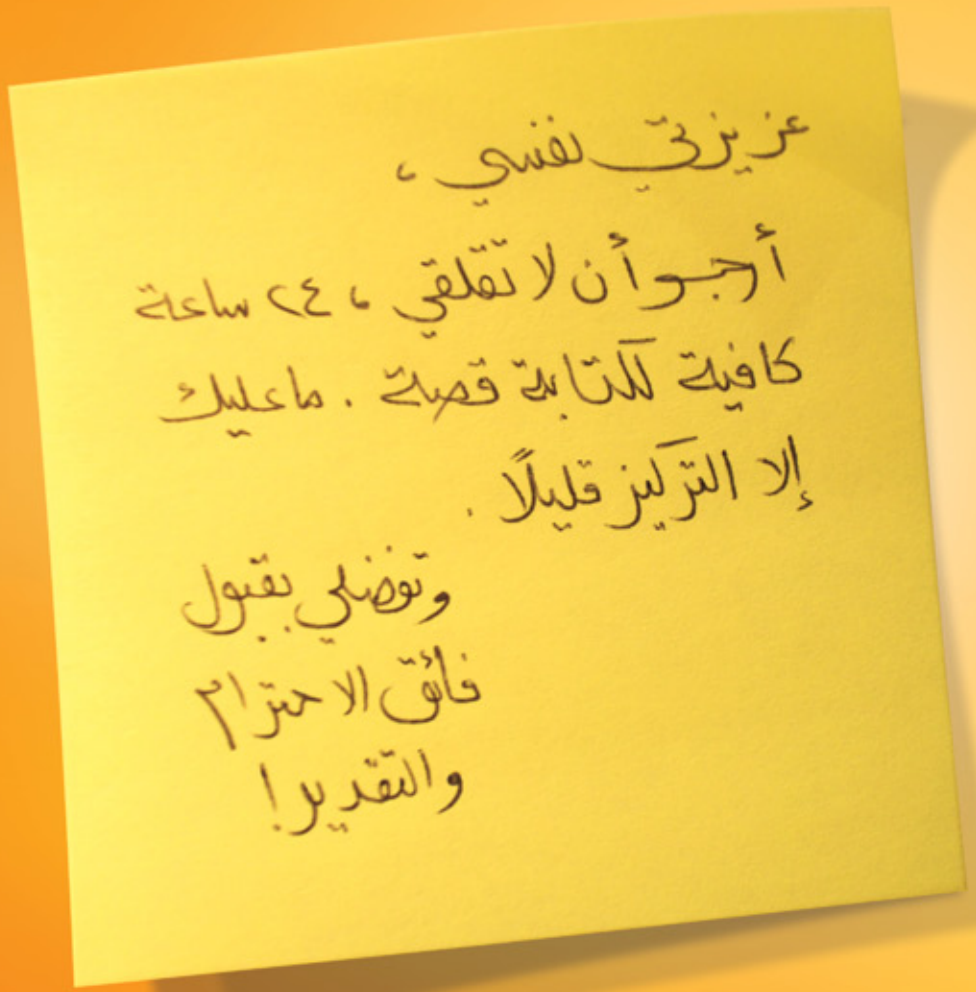

الأمر بسيط، عليّ بداية ابتكار الشخصية الرئيسة، وأن أجد لها اسما. الاسم أمر هين، شعار الحملة "المتسامح رابح" معبأ بالاحتمالات. يمكنني مثلا أن أسميها سَماح رَباح! لا، لا، السجع في الاسم متكلف جدا. ماذا عن سماح رابح؟ أو سميحة ربحان؟ أو رابحة سامح؟ أو ربيحة سميح؟ وماذا عن فايزة فوّاز، سميحة فايز، سماح فوّاز، أو ... لا يهم الاسم الآن، سأجد لها اسما، عندي اليوم بكامله؛ يوم سبت صحو وجميل، و ... كيف نسيت؟! عندي اجتماع في النادي الأدبي اليوم؛ أول اجتماع للجنة مسابقة القصة القصيرة. يا للهول! إنها التاسعة، والاجتماع بعد ساعة!

أرتدي ثيابي على عجل. أتوجه إلى النادي الأدبي وسميحة/سماح/رابحة/ربيحة تجوس في رأسي. أصل إلى النادي متأخرة ربع ساعة عن الموعد، وأهرع إلى قاعة الاجتماعات.

عجبا! لا يوجد أحد. لقد أنهين اجتماعهن! وكيف أمكنهن هذا؟ هل أنهين نقاش كل البنود في ربع ساعة؟ طبعا، وكيف لا يكون هذا و"سُؤْدُد" هي التي تقود هذه اللجنة. يقطع تبرمي رسالة "واتساب" من سؤدد إلى جميع عضوات المجموعة:

السلام عليكن،

للتذكير، اجتماع اللجنة اليوم الساعة العاشرة صباحا إن شاء الله.

ما هذا؟ هل تهزأ بي؟ إنها ... إنها ... التاسعة والنصف الآن! هذا ما تقوله ساعة الحائط الكبيرة التي تنتصب قُبالتي! أطالعُ شاشة هاتفي النقال وتكاد مقلتاي تقفزان مما تريان. قاتل الله النسيان، ساعة هاتفي لا تزال مضبوطة على توقيت الدولة التي كنت فيها!

لدي نصف ساعة فائضة. تَعْسًا لإبليس، سأظهر بمنظر المتحرّقة لحضور الاجتماع، اجتماع اللجنة التي لم أمنح رئاستها. ثم كيف، ومَن أعطى سؤدد شرف الرئاسة؟ سؤدد النصف إيطالية، سؤدد الهجين. مزيج مضحك من اسم عربي قُح، وعرق مختلط. أشك أنه يمكنها كتابة فقرة واحدة بالفصحى. لا بد أن والدها الدبلوماسي السابق هو من فرضها على هذه اللجنة. هذا عالم مقلوب يا قوم!

يرمقني قلم أسود مستلقٍ بتثاقل على الطاولة، وكأنّه يستجدي الرفقة. أقرر أن أتسلى بهِ/معه. أسحب ورقة بيضاء من الأوراق المعدة للاجتماع وأشرع في الخربشة.
آها! ستكون فكرة طيبة أن أستثمر هذا الوقت في كتابة القصة.
أتذكر حيرتي في اسم البطلة، سميحة، سماح، رابحة، ربيحة.
أقررُ أن أقررَ لاحقا، وأشرع في رسمها.
أرسم لها حاجبي سؤدد، وأنف روعة، وفم سامية، وخديّ سعاد، وعينيّ ... لا، ستكون لها عيناها الفريدتان جدا، عينان مدورتان لامعتان.
أتمعن في كتيّب الحملة المحفوظ على هاتفي، وأحيط صديقتي الجديدة بالأسهم، وأشرع في كتابة الاثنتي عشرة صفة التي يتحلّى بها المتسامح.

تباغت "نجمة" عاملة المقهى لحظتي الفنية بقولها:
- بابونج محلّى بالعسل كالعادة؟
ثم تضيف ضاحكة:
- الحمد لله على السلامة.
- سلمك الله. نعم من فضلك.
- يبدو أنك متحمسة جدا لأمر هذه المسابقة، حتى أنك جئت مبكرا كما لو كنت رئيسة اللجنة.
تعسا لإبليس! كيف عرفت بالأمر؟ هل يظهر عليّ بوضوح إلى هذا الحد؟ ثم من سمح لها بتعييري بذلك؟! هذه العاملة البسيطة صارت تجترئ عليّ وتلمّح تلميحات مغرضة. حينما تعود، سوف ألقنها درسا. يمكنني أن أعيّرها بأشياء كثيرة؛ بفقرها، وجهلها، وظهره المحدودب، وكرشها المتهدلة، و... وأشعر بشيء يراقبني، شيء صغير يرمقني! وتقع عيناي على عينيها المدورتين اللامعتين، ألمح فيهما عتابا. أبلع وعيدي، وأقرر أن أحسن الظن.

التقبل
الاحترام
أدب الاختلاف
شرف المنافسة
حسن الظن
سلامة الصدر وسعته
صفاء النفس ونقاؤها
الرفق
حب الآخرين
التماس العذر
العفو
الإيمان بعدالة الله تعالى

تضع نجمة البابونج أمامي. أشعر بعيني صديقتي الصغيرة وسهامها تخترقني مجددا، فأفهم الرسالة! أدس يدي في حقيبتي، وأخرج منها عملة ورقية أودعها في يدي نجمة، تكفيرا عن سوء ظني.

تقتحم سؤدد اللحظة. ما الذي جاء بها باكرا؟ جاءت تجهز للاجتماع وتوزع أوراق جدول الأعمال بنفسها على الطاولة. إنها تعامل هذه اللجنة كما لو كانت دميتها الصغيرة، وملكيتها الخاصة.

أقرر أن أبدأ معها حوارا يفضح جهلها، ويثبت أني الأحق برئاسة هذه اللجنة. أريد فقط أن أجرّمها أمام نفسها، أن أحرجها أمام ضميرها، أن أعلمها أني أعلم بأمر الوساطات التي جاءت بها إلى هذا المنصب. لا تنظروا إلى هكذا ولا تسألوني كيف عرفت، لا بد أن واسطة نافذة جدا جاءت بها. لا، هذا ليس سوء ظن، هذا يسمّى حسن استنتاج، هذا يسمى استخداما للمنطق، هذا ... هذا الشعور المزعج، صديقتي عديمة الاسم تنظر إلى مجددا وتستعد لوخزي بأحد أسهمها المدببة. أغطيها بورقة فارغة، وأستعد للمعركة.

- أراك متحمسة جدا يا سؤدد. هوني عليك، ما هذا إلا الاجتماع الأول.
- أحب أن أتقن ما أعمل.
- هل قرأت كل القصص التي وردتنا حتى الآن؟
- نعم، طبعا.
- ما رأيك بقصة "الإسكافي" لسلمى الذهبي؟
- هذه أفضل قصة قرأتها حتى الآن. تَناصها عبقري مع قصة "معروف الإسكافي" الواردة في "ألف ليلة وليلة"، واستخدامها للمجاز مقتصد وجاء في السياق تماما. لكن فلننتظر حتى نقرأ النصوص كلها، فقد نجد جوهرة أثمن.

تناص؟ مجاز؟ سياق؟ تبا، النصف أعجمية هذه ضليعة في المجال بشكل لم أتوقعه. أعض على شفتي، وأسحب ورقة بيضاء من أمامي وأجعدها لتتلقى غيظي، فتنكشف صديقتي التي تنتظر مني أن أسميها. عيناها المدورتان تسحراني مجددا، تمسك

بقوسها وترمي عليّ بأحد أسهمها، سهم معنون بـ: شرف المنافسة. أتجاهل الألم، فتلكزني تلك الصغيرة، وينغرس السهم أكثر في قلبي. تلكزني أكثر وأكثر، تحضني على أن أكفر عن ذنبي، تحرّضني على أن أغسل قلبي، أصنفره، أبيّضه.

أنظر إلى سؤدد، أقول لها بصدق، بحب، لا مجاملةً ولا مداهنةً:

- أحسنتِ، لم أنتبه أبدا إلى وجود تناص في القصة رغم أني قرأتها مرتين على الأقل.

تسري بيني وبين سؤدد موجة خفية من الوُد، ود لم أشعر به من قبل تجاهها، ود طازج، خُبز للتو.

أنكبّ على صديقتي المزعجة، أزيد في زخرفة ثوبها، وأشحذ أسهمها، أسهمها التي أعلم أنها قد تُدميني بها قريبا. بدأت بشكل أو بآخر أستحلي نظراتها الوخّازة وأسهمها. هناك مثل يقول أن "على الطبيب أن يكون قاسيا، كي يكون رحيما". صديقتي العاطلة عن الأسماء صارت طبيبتي التي توجّه لي حقنة مستحقة متى ما انتهكتني جرثومة ما.

يلتئم الشمل، ويكتمل النصاب ويبدأ الاجتماع، ويبدأ اللدَد!

روعة: بالنظر إلى القصص الواردة حتى الآن، أرى أن مجموعة منها فيها تفاصيل تخدش الحياء، ومن الواجب علينا استبعادها.

سامية: نستبعدها بأي حق؟ النادي لم يضع شرطا بهذا الشأن، ومشاركاتهن متوافقة مع الشروط.

سعاد: روعة على حق، بعض القصص غير ملائمة لأخلاقنا.

سامية: رجاءً! هذا عمل مهني محترف لا يجوز أن ندخل الأخلاق فيه! ثم إني قرأت كل القصص، وما ورد فيها تصوير واقعي لما يحدث في المجتمع، فلماذا ندفن رؤوسنا في الرمال؟

سعاد: لكن لا يمكن أن نسمح بهذه البذاءات تحت شعار الواقعية! تصوير الواقع شيء، والتطبيع مع الرذيلة شيء آخر.

ويموج بعضنا في بعض، وأضيق ذرعا بهذا النقاش. أريد أن أضرب على الطاولة، أن أمسك برقابهن جميعا، هكذا ينتهي كل شيء.

ابدأ بهز رجليّ تململا، أزفر، أتأفف. وترميني تلك الصغيرة بسهم جديد: أدب الاختلاف. ثم تغمز لي طالبة مني التدخل الرشيد.

أفكر قليلا، ثم أحاول تهدئة المعركة التي تطحن جميع الموجودات، وأولهن أنا.
- نقطة نظام من فضلك أختي سؤدد.
- تفضلي.
- في الحقيقة -ورغم معارضتي للعبث بالشروط- أرى وجاهة فكرة روعة، وأظن أن جلنا يتفق معها من حيث المبدأ والأمور تسير وفق رأي الغالبية هنا. خلافنا الجوهري هو في كيفية التطبيق. وحتى نصل إلى حل توافقي، أرى أن توصي اللجنة بإدراج شرط في المسابقات القادمة يشمل هذه النقطة. كما أرى أن يوضع ضمن معايير التقييم التي سنسير عليها هذا العام بند يتـ ..
تقاطعني سامية غاضبة:
- هراء! وما ذنب اللاتي لم يعلمن بذلك؟!
ويتملكني الغضب، يضيق صدري، أستحيل مخزونا من البارود الذي ينتظر فتيلا يشتعل. كوب ماء صغير أرشه في وجه سامية، وأتخلص من ثرثرتها. تأتيني حقنة مهدئة من حيث لا أدري ... بل من حيث أدري. أتنفس بعمق، أتبسّم، وأكمل بهدوء:
- صحيح تماما. ولهذا كنت سأقول بأن علينا أن نمنح هذا الشرط درجة غير مؤثرة، أقترح أن تكون 10% مثلا. وبهذا نكون أخذنا الأمر بعين الاعتبار من ناحية، ولا نكون ظلمنا من لم تعرف بالشرط من ناحية أخرى.
تهدأ النفوس، وتهتز بالموافقة الرؤوس. نسعد لثوانٍ بغمامة الاتفاق التي تغشّينا، إلى أن تأتي سؤدد وتثير نقعا مؤجلا:
- بما أن الشيء بالشيء يذكر، أسجّل تحفظي على النصوص التي وردتنا وفيها حوارات بالعامية.
يخيل لي أن صديقتي تتنحنح، تنبهني لسوء ظني. هذه سؤدد التي شككت فيها، هي أول من انتصر للفصحى.

ويندلع نقاش حام من جديد، مشروع حرب ضروس يوشك أن ينقدح. أتدخل علًى عجل:
- يمكننا أن نتناقش في هذا الموضوع لساعات وساعات، وستأتي كل منا بحجج بالغة. هذه ليست من القضايا القابلة للحسم نهائيا

من حيث المبدأ. وحتى نجنب أنفسنا ضياع الوقت وتبدد المودة، أرى أن نحسم الأمر بالتصويت.
تسير الأمور بسلاسة، ثلاثة أصوات ضد العامية، صوت معها، وامتناع صوت واحد. تجري بقية بنود الاجتماع بسلاسة. وحين نهم بالرحيل، تستوقفنا سؤدد:
- عزيزاتي، أكره أن أقول ذلك، ولكن وباختصار شديد، لن أستطيع أن أكمل مهامي في رئاسة هذه اللجنة. لقد حصلت على بعثة دراسية لدراسة الماجستير في الأدب المقارن، وسأنشغل بالإجراءات والاستعدادات في الفترة القادمة.
تختلط الكلمات بالعناقات، والقبل بالتشجيعات. حتى صديقتي الصغيرة، خُيِّل لي أنها تقفز فرحا وتبارك لسؤدد.
تقول سؤدد بصوت تطغى عليه أصواتنا المبتهجة:
- ولهذا، علي أن أسلّم مهامي لإحداكن. لذا، أرجو أن تتكرمن علينا بربع ساعة إضافية نجري فيها انتخابات سريعة لاختيار من ستخلفني، إذ لا يوجد نائبة لي تنتقل لها المهام تلقائيا.
يتسيّد الصمت، تنتظر سؤدد أسماء المترشّحات دون جدوى.

فتقطع الصمت بحديث توجهه لي:
- أزكيكِ لهذه المهمة.
- أنا؟!
- عمل هذه اللجنة متعب جدا، نحن متشاكسات، وننتمي إلى مدارس أدبية مختلفة. لا بد في من تقود أن تحسن منع تحويل الاختلافات إلى خلافات. لم ألتقك قبل اليوم إلا مرة أو مرتين، لكن أرى أنك تحسنين صناعة التسامح.
ويبتلعن صدمتي بتيار الموافقات الفورية. همهمات، ومباركات، وقبلات، ولعاب يتطاير، وأشباه زغاريد، ودُيوم من الجذل.
تطل نجمة التي تتابع وقائع الاجتماع من الباب الموارب:
"وأنا أيضا رأيي كرأيكن." وتسحب رأسها وهي تكركر.
أتعجل لإنهاء كل شيء، أصفق كفي بكف تلك الصغيرة. وأُهرع إلى مقعد معزول في حديقة النادي، كي أكتب ما حدث اليوم، قصةً لهذه الحملة!

ماذا سأسمي صغيرتي ذات الأسهم؟ لا أدري بعد! ما رأيكم أن تصوتوا لاختيار اسم تلك الصغيرة؟

www.rekaaz.com/ism2014

ملاحظة:

جميع أحداث هذه القصة من وحي الخيال، ما عدا مسألة الاحتباس الكتابي!

@rekaaz rekaaz.com

ركاز®
لتعزيز الأخلاق